الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم اللغة والأدب العربي

شعر الإصراخ والاستصراخ في نهاية العصر الأندلسي – نماذج مختارة – دراسة موضوعاتية فنية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

من إعداد الطالب: براهمي ابوبكر

لجنة المناقشة :

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
العيد جلولي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
نجلاء نجاحي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
هاجر مدقن	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

1445 هـ

2024-2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم اللغة والأدب العربي

شعر الإصراخ والاستصراخ في نهاية العصر الأندلسي – نماذج مختارة –

دراسة موضوعاتية فنية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

من إعداد الطالب: براهمي ابوبكر

لجنة المناقشة :

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
العيد جلولي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
نجلاء نجاحي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

هاجر مدقن	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

1445 هـ

2024-2023م

شكر وتقدير

الحمد لله الواحد الأحد حمدا كثيرا طيبا على توفيقه لإتمام هذا العمل

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى الأستاذة

المشرفة " **د نجلاء نجاحي** "على تفضلها بالإشراف علي، وإلى

كل الأساتذة الذين درسوني طيلة مسيرتي الدراسية. الذين لم يبخلوا علي بنصائحهم القيمة

ولا أنسى كل من قدم لي يد المساعدة من الزملاء والأصدقاء من قريب أو من بعيد

فألف شكر لكل هؤلاء وجزاهم الله خير الجزاء

الفهرس

العنوان	الصفحة
الملخص	II-I
مقدمة	أ-جـ
تمهيد التعريف بالمدونة وزمكانيتها	1
التعريف بالمدونة	2
شعر الإصراخ والاستصراخ في القرنين الثامن والتاسع	3-2
أهم قصائد وشعراء المدونة	5-4
الاستصراخ	6
تعريف الاستصراخ لغة	6
تعريف الاستصراخ اصطلاحا	7
الفرق بين الإصراخ والاستصراخ	8
نشأة شعر الإصراخ والاستصراخ	10-9
تطور شعر الإصراخ والاستصراخ	13-11
شعر الاستصراخ والدعوة إلى الجهاد	17-13
الفصل الأول : موضوعات الاستصراخ في المدونة ومضامينها	
الظواهر الموضوعية في شعر الاستصراخ	23-19

تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحا	24
الاستغاثة لغة	24
الاستغاثة اصطلاحا	24
تعريف شعر الاستغاثة في الأندلس	24
الاستغاثة في المدونة	25-27
تعريف الحنين لغة واصطلاحا	28
الحنين لغة	28
الحنين اصطلاحا	28
الحنين في المدونة	30-33
تعريف الرثاء لغة واصطلاحا	34
الرثاء لغة	34
الرثاء اصطلاحا	34
تعريف رثاء المدن	35
الرثاء في المدونة	36-37
علاقة الرثاء بالاستصراخ	37-38
الفصل الثاني : الخصائص الفنية لشعر الإصراخ والاستصراخ	
اللغة والأسلوب	40
اللغة	40
تعريف اللغة الشعرية	40
خصائص اللغة الشعرية لقصائد المدونة	40-41
اللغة السهلة والبسيطة في قصائد المدونة	41-44
الأسلوب	45
تعريف الأسلوب	45
أسلوب قصائد المدونة	46-48

التصوير	49
الكناية في المدونة	49-51
التشبيه	51
تعريف التشبيه	51
التشبيه في المدونة	51-53
الاستعارة	53
تعريف الاستعارة	53
الاستعارة في المدونة	54-55
خاتمة	56-57
قائمة المصادر والمراجع	58-60

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الإصراخ والاستصراخ في شعر عدد من الشعراء الذين أدركوا نهايات وسقوط الأندلس ، وقد اخترت نماذج لمجموعة من الشعراء لإبراز الموضوعاتية والفنية

إن أبرز موضوعات الاستصراخ في المدونة: الرثاء ،البكاء , الاستغاثة، والحنين ، و استنهاض الهمم أما الجانب الفني فقد تمت دراسته من حيث اللغة، والأسلوب ، والتصوير بإبراز الفرق بين الإصراخ والاستصراخ كما تطرقنا إلى نشأة هذا من الغرض (الاستصراخ)

وقد كان هذا الغرض إبداعا حقا وقد حقق وظيفتين بلاغية واتصالية بين (المستصرخ) و(المصرخ)

وقد كان لهذا الغرض تأثير كبير

الكلمات المفتاحية :

الإصراخ - الاستصراخ - الأندلس - البكاء - الموضوعاتية - الخصائص الفنية

SUMMRY:

This research examines the topic of outcry and supplication" in the poetry of late Andalusia, focusing on selected models from both thematic and artistic perspectives. The study delves into important themes associated with supplication, including lamentation, plea, emotion, and nostalgia. On the artistic side, language, style, and imagery are analyzed. Additionally, we highlight the distinction between outcry and supplication, as well as explore the origins of this poetic form. Ultimately, we find that this type of poetry serves two functions: rhetorical and communicative, bridging the gap between the supplicant and the one being supplicated. "Furthermore, it has a significant impact on readers.

Key Words:

Outcry, Supplication, Andalusia, Cry, Objectivity, Technical characteristics.

مقدمة

تتداخل أصداء الحضارات وتتجلى روائع الشعر والأدب، حيث نجد أنفسنا أمام فن شعري عميق يعكس آلام الفراق وأوجاع النفس الإنسانية لفقدان حضارة الأندلس.

"شعر الإصراخ والاستصراخ"، هذا الغرض الشعري الذي برز في نهاية الأندلس، يُعدّ تجسيدًا لصرخات الألم والتوق إلى ما فُقد من أرض وهوية.

نسعى لاستكشاف الأبعاد الموضوعاتية والفنية لهذه النماذج ، متتبعين خطى الشعراء الذين عبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الأحداث التاريخية المؤلمة التي شهدتها الأندلس في أواخر أيامها.

سنبحر في عوالم لسان الدين الخطيب وابن خفاجة وأبي البقاء الرندي وابن الأبار البلنسي وابن زمرك وكذلك ابن زيدون الذين نظموا قصائدهم على وقع سقوط ممالكهم وتلاشي أحلامهم. سنتأمل كيف استخدم هؤلاء الشعراء الاستعارات والمجازات والتشبيهات ليصوروا حالة الحزن والحنين، وكيف تحولت هذه الأدوات البلاغية إلى وسيلة للتعبير عن الاستصراخ والتوسل والرجاء.

من خلال تحليل النصوص الشعرية والغوص في أعماقها، سنحاول فهم كيف تمكن الشعراء من تحويل معاناتهم إلى فن يُخلد ذكرى حضارة كانت يومًا مهدًا للعلم والأدب. هذه الدراسة الموضوعاتية الفنية لشعر الإصراخ والاستصراخ تهدف إلى إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب الأدب الأندلسي، مُبرزةً القيمة الجمالية والإنسانية لهذا الإرث الثقافي العظيم.

وتبلورت الإشكالية الرئيسية في : كيف كان البناء الموضوعاتي والفني في شعر الإصراخ والاستصراخ ؟ وتفرعت منها مجموعة من الأسئلة:

_ ماهي أهم الموضوعات التي تندرج ضمن شعر الإصراخ والاستصراخ ؟

_ ما هو الفرق بين الإصراخ والاستصراخ ؟

_ كيف تأسس البناء الفني لقصائد الاستصراخ في نهاية الأندلس ؟

- كيف صب هؤلاء الشعراء مشاعرهم الحزينة وصرخاتهم في قصائد تتسم بالفنية والجمال ؟ وهل يمكن أن ينبثق الجمال من الحزن والأسى والاستصراخ ؟

وللإجابة على كل هذه التساؤلات تألفت خطة البحث من عدة مراحل متسلسلة، تبدأ بتمهيد يُعرّف بشعر الإصراخ والاستصراخ، مرورًا بالتعريف بالمدونة الشعرية المختارة للدراسة والتي تحوي العديد من الشعراء نذكر أبرزهم لسان الدين الخطيب وابن خفاجة وأبي البقاء الرندي وابن الأبار البلنسي وابن زمرك وكذلك ابن زيدون . يلي ذلك الفصل الأول الذي يُعنى بالدراسة الموضوعاتية، حيث نستعرض الموضوعات الرئيسة والأفكار التي تناولها الشعراء فكانت عناصر الفصل الأول كما يلي :

الظواهر الموضوعية في شعر الاستصراخ

المبحث الأول : الاستغاثة

المبحث الثاني : الحنين

المبحث الثالث : الرثاء

المبحث الرابع : البكاء وتأجج العاطفة

أما الفصل الثاني فقد يعنى بالدراسة الفنية، وفيه نتعمق في تحليل الأساليب البلاغية كالاستعارات والتشبيهات التي استخدمها الشعراء للتعبير عن مشاعرهم. فكانت عناصر الفصل الثاني كما يلي :

المبحث الأول : اللغة والأسلوب

المبحث الثاني : التصوير

- **الكناية**
- **التشبيه**
- **الاستعارة**

وأخيرًا، تأتي الخاتمة التي تُسلط الضوء على أهم النتائج والتوصيات.

أما عن الدراسات السابقة التي كانت عونا لي : كتاب حياة الشعر في نهاية الأندلس للدكتورة حسناء بوزويتة الطرابلسي والذي أزال الكثير من الغموض وأمدني بفيض من الأفكار والمعلومات إضافة إلى مذكرة المـاستر في اللغة والأدب العربي الموسومة بعنوان ثنائية الاستغاثة ورثاء المدن في الشعر الأندلسي للطالبة بختيل شيماء جامعة ابن خلدون تيارت 2019-2020، كذلك محاضرة تحت عنوان شعر الاستغاثة والاستصراخ في الأندلس للأستاذة امال كبير جامعة العربي التبسي تبسة

أما عن أهم المراجع والمصادر فيعتبر كتاب حياة الشعر في نهاية الأندلس للدكتورة حسناء بوزويتة و كتاب شعر الاستصراخ في الأندلس لعزوز زرقان كذلك كتاب النقد الموضوعاتي لسعيد علواش ومن أهم المصادر التي استمديت منها الكثير من المعلومات الدكتورة أديبة روميرو سانشيز وهي موريسكية أندلسية و باحثة في الأدب الأندلسي، والدكتور راغب السرجاني أيضا وهو صاحب كتاب الأندلس من الفتح إلى السقوط ،

وكما نعلم أنه لا يخلو بحث من الصعوبات فإن أبرز الصعوبات التي واجهتني، ندرة الدراسات لهذا الموضوع

وفي الأخير أتقدم بشكري الصادق للدكتورة نجلاء نجاحي التي لم تبخل يوما علي بأي معلومة كما كان لها الفضل بعد الله تعالى في إتمام هذه المذكرة .

ورقلة في 2024/05/15

براهمي ابوبكر

تمهيد : التعريف بالمدونة وزمكانيتها

المتأمل لتاريخ الأندلس العريق، يجد نفسه أمام ملحمة حضارية زاخرة بالأحداث والتحولات، وقد كان للشعر دور بارز في تجسيد هذه المرحلة التاريخية الفريدة. لقد شكّل الشعر في الأندلس لغة الروح والهوية، وكان مرآة تعكس الأفراح والأتراح، والانتصارات والهزائم. ومع اقتراب نهاية عصر الأندلس، برزت أشكال شعرية جديدة تعبّر عن الأسى والحنين إلى ما كان، ومن بينها 'شعر الإصراخ والاستصراخ' الذي يُعدّ صدى للروح الأندلسية المكلومة

إن شعر الاستصراخ هو غرض شعري أندلسي، وخاصة عندما قربت سقوطها ونهايتها وهو يعبر عن مشاعر اليأس والحزن والحنين إلى الأوطان المفقودة ومناجاة الله تعالى واستحضاره في مواجهة التحديات والمحن.

يرتبط شعر الاستصراخ بفترة سقوط المدن الأندلسية تحت الهجوم المسيحي خلال القرون الوسطى وتعبر قصائد الاستصراخ عن الصمود والثبات في وجه الظروف الصعبة، وتعكس القيم الروحية والثقافية للمجتمع الأندلسي خلال هذه الفترة. يتسم هذا الغرض من الشعر بالعمق والرصانة، ويعتمد على الصور البديعة والمعاني العميقة للتعبير عن المشاعر والتجارب الإنسانية. كما يعتبر شعر الاستصراخ جزءًا مهمًا من التراث الأدبي الأندلسي، وقد ترك بصمته في الأدب العربي والإسلامي بشكل عام.

أ ـ التعريف بالمدونة

في ظلال التاريخ العريق للأندلس، حيث ازدهر الفن والعلم والثقافة ، نجد أنفسنا محاطين بإرث حضاري يعانق السماء. كانت الأندلس ملتقى الحضارات ومهد العلوم والآداب، حيث تفتحت أزهار الفكر والإبداع في ربوعها الخصبة. لكن، كما لكل قصة بداية، نهاية؛ وقد جاءت نهاية الأندلس محملة بالأسى والحنين.

تعددت أسباب سقوط الأندلس، من الصراعات الداخلية والفتن، إلى الضغوط الخارجية والغزوات، ولعل أبرزها الانقسامات السياسية والتناحر بين الطوائف، مما أضعف الدولة وفتح الباب أمام الغزاة. وفي هذا السياق، تبرز المدونة الشعرية التي نحن بصدد دراستها كشاهد على تلك الحقبة الزمنية الفارقة

فشعر الإصراخ والاستصراخ الذي نتج عن هذه الحقبة يعبر عن مشاعر الحزن والأسى والحنين إلى ما كانت عليه الأندلس من مجد وحضارة

وكما يعد كتاب حسناء بوزويتة الطرابلسي " حياة الشعر في نهاية الاندلس " أهم عناصر هذه المدونة فهو كتاب يتحدث عن الشعر و أهم ما واجهه في الأندلس في خضم ما جرا من مشاكل و تغييرات سياسية و التي لاشك أنها تؤثر على الشعر الذي كان يعتبر الوسيلة المثلى للتعبير عن حياة سكان الأندلس

ب ـ شعر الإصراخ والاستصراخ في القرنين الثامن والتاسع

يعد القرن الثامن قرن ابن الجياب وابن خاتمة وابن الخطيب وابن زمرك. ولئن سكت ابن خاتمة عن أحداث عصره، كما رأينا، وانزوى بشعره عن كل ما يمكن أن يربطه بعصر ما، وخاصة بالقرن الثامن للهجرة بالأندلس، ولئن بقي ابن الجياب ملازما الحذر كل الحذر من أحداث العصر. حتى لا نجد في ديوانه بأكمله من شعر الاستصراخ والحث على الجهاد سوى بيتين قالهما في إحدى المراثي ، فإن ابن الخطيب وابن زمرك على العكس من ذلك، قد اندمجا في عصرهما وتفاعلا معه وشاركا في أحداثه فكانت لهما في هذا الموضوع رسائل كثيرة وأشعار[1]

لقد كانت قصائد شعراء القرن الثامن تعكس الحالة النفسية للأمة الأندلسية، متضمنةً الحماسة ورثاء المدن المنكوبة، وتوظيف أساليب الحكي والسرد، المقابلة والمطابقة، المجاز والاستعارة والتشبيه. وقد تميزت هذه الفترة بكثرة

[1] حسناء بوزويتة الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، دار محمد علي الحامي، تونس, 2001 , ص 591

الاستصراخ في الشعر، حيث كان الشعراء يستغيثون بالخلفاء والملوك لطلب النصرة والعون

أما في القرن التاسع الهجري، فقد بدأت حدة شعر الاستصراخ تقل تدريجيًا، وذلك بالتزامن مع تقدم القوات المسيحية وتناقص الأراضي الإسلامية في الأندلس. ومع اقتراب نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس، تحولت الأناشيد الحماسية إلى أشعار تعبر عن الحزن والرثاء أكثر من الدعوة للمقاومة[1]. وقد انعكس هذا التحول في الشعر الأندلسي، حيث أصبح يركز أكثر على التأمل في الأسباب والعبر من التاريخ، بدلاً من الاستصراخ والدعوة للجهاد.

إن دراسة شعر الاستصراخ في هذين القرنين تُظهر لنا كيف استخدم الشعراء الأندلسيون الشعر كوسيلة للتعبير عن مشاعرهم ودعواتهم في مواجهة التحديات التي كانت تعصف بمجتمعهم وحضارتهم.

فهذه المدونة جمعت أهم قصائد الاستصراخ والاستنجاد ورثاء المدن ومن أهم خصائص قصائد هذه المدونة :

الحزن والأسى: يسود الشعر مشاعر الحزن العميق والأسى على فقدان الأندلس.

الحنين: يظهر الحنين إلى الماضي الزاهر والأمجاد التي تحققت في الأندلس.

التأمل والعبرة: يستخدم الشعراء الرثاء للتأمل في أسباب السقوط واستخلاص العبر من التاريخ.

الدعوة للجهاد والمقاومة: يحث الشعراء على الجهاد والمقاومة لاستعادة الأندلس.

اللغة البليغة والصور الشعرية: استخدام لغة شعرية بليغة وصور معبرة تليق بالموقف الجلل.

جـ - أهم قصائد وشعراء المدونة :

[1] إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دمشق ، سوريا ، ط:1 ، 2008 ، ص:302

أبو البقاء الرندي: قصيدته "لكل شيء إذا ما تم نقصان" تعد من أشهر القصائد في رثاء الأندلس

لسان الدين بن الخطيب: شاعر وسياسي أندلسي، كتب العديد من القصائد التي تعبر عن الحزن على فقدان الأندلس ومن أشهرها قصيدة " جادك الغيث" و"أما قصورك كلما أنشأتها ".

ابن زمرك: شاعر غرناطي، عُرف بقصائده التي تحمل الكثير من الحس الوطني والحنين إلى الأندلس.

ابن خفاجة: شاعر أندلسي آخر، عُرف بحبه للطبيعة وقد تأثرت قصائده بسقوط الأندلس.

ومن أشهر قصائده "أَيَا ديارَ الأَحِبَّةِ مَنْ سَلَوَى"

تُعدّ هذه القصيدة من أشهر قصائد رثاء الأندلس،

تتميز هذه القصيدة بِرقةِ مشاعرها وعذوبةِ أسلوبها، وتُعبّر عن مشاعر الشوق والحنين إلى الوطن المفقود.

من أشهر أبيات القصيدة:

أَيَا ديارَ الأَحِبَّةِ مَنْ سَلَوَى عَلَى الْبَلادِ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا وَدَجَا

أَفَارِقُ الدِّيَارَ الَّتِي اِكْتَنَفْتُهَا وَأَسْكُنُ الدِّيَارَ الَّتِي لَمْ أَرَوْهَا

ابن زيدون صاحب قصيدة "أَلاَ تَرَى بَعدَكَ أيها الزَّمَنُ":
قالها الشاعر عام 463 هـ، وهي من قصائد رثاء الأندلس المؤثرة. تتميز القصيدة بصدق المشاعر وقوة التعبير، ورثاء الشاعر لحبيبته التي فقدها.
مطلعها:
أَلاَ تَرَى بَعدَكَ أيها الزَّمَنُ أَكِلَّتْ إلى اللَّهْمِ أَكْبَادُنا

ان أشعار هذه المدونة ليست مجرد كلمات مكتوبة، بل هي نبضات قلب الأندلس الذي لا يزال يخفق في الذاكرة الجماعية للأمة العربية والإسلامية .فمن خلال الأبيات، نرى كيف أن الأندلس كانت أكثر من مجرد أرض، بل كانت

حلمًا ورؤية وواقعًا عاشه الشعراء و احبوه. ومع كل قصيدة يُنشدونها، يُعاد رسم صورة الأندلس في أذهاننا، وكأنها لوحة فنية تُعبر عن أروع ما في الإنسانية.

يُعتبر شعر الاستصراخ جسرًا يربط بين الماضي والحاضر، مُذكرًا الأجيال الجديدة بأمجاد الأندلس وما تركته من أثر في الذاكرة العربية والإسلامية. إنه يُعيد إلى الأذهان قصص البطولات والإنجازات، ويُحيي في القلوب الأمل بأن تلك الأيام العظيمة يمكن أن تُعاد مرة أخرى. فالشعر هنا ليس مجرد وسيلة للتعبير عن الحزن، بل هو أيضًا دعوة للتأمل والعمل من أجل مستقبل يُعيد للأمة بريقها ومجدها.

1 - الاستصراخ:

أ. تعريف الاستصراخ لغة:

الاستصراخ " لفظة مشتقة من مادة " صرخ" فهي تعني: « . الصرخة الشديدة عند الفزع وقيل هو الفزع الشديد .... واصطرخ القوم، وتصارخوا واستصرخوا: استغاثوا.1
والاستصراخ يعني الاستغاثة ويعنى الاستنجاد، ففي اللسان: «استنجد الرجل إذا قوي بعد ضعف أو مرض، ويقال للرجل إذا ضري بالرجل واجترأ عليه بعد هيبته قد استنجده فأنجده واستنجاده فأنجده: استغاثه فأغاثه، واستنجده:

---

1 علي بن إسماعيل ، المحكم و المحيط الأعظم، معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية، ت: إبراهيم الابياري، ط:1 , 1391هـ , 1971م , ص :78

استعانة1.

وورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ... فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذا الذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخْهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ...) 2

قال الإمام القرطبي (ت 671هـ) : « فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه، أي يستغيث به على قبطي آخر، وإنّما أغاثه لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها على الأمم، وفرض في جميع الشرائع3 ....

ومن هنا نقول ان الاستنجاد والاستغاثة والاستصراخ لها معنى ومضمون واحد

ب. تعريف الاستصراخ اصطلاحا:

لا يوجد في الأدب القديم تعريف واضح لهذا الغرض الأدبي، إلا أنه ومع تشعّب الدراسات الأدبية الحديثة درج بعض الباحثين المحدثين على تعريفه أو الإشارة إليه

فقد عرفه عبد العزيز عتيق بقوله عنه انه هو شعر يقوم على استنهاض عزائم ملوك المغرب العربي في المحل الأول، وهمم المسلمين في شتى أقطارهم كي يهبوا بباعث الأخوة الإسلامية لنجدة إخوانهم بالأندلس، ومد يد العون لهم في جهادهم ضد أعدائهم من نصارى الأندلس الذين أطمعهم ضعف ملوك المسلمين بها، فراحوا يضاعفون من غاراتهم على مدنهم ويهددون أهلها بالاكتساح

---

1 أبو الفضل جمال بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت ط:1 , سنة 2000 ، ص:222

2 سورة القصص الآية 17

3 أبي عبد الله محمد بن القرطبي . الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر , لبنان ,بيروت ، 1999 ، ص:326

الشامل ".[1]
كما عرفه محمد رضوان الداية أيضا بقوله: "ويراد به الشعر الذي نظمه شعراء الأندلس، وهو دعوة إلى الجهاد والدفاع، سجلوا فيه الأحداث التاريخية التي جرت بين أهل الأندلس والدول المعادية ...
فوصفوا النكبات التي أصابت الأندلسيين .... واستنهضوا الهمم، وتوسلوا إلى ذلك بالقيم التي لا يجوز أن تهدر بين أبناء الأمة الواحدة".[2]

أما حسناء بوزويتة الطرابلسي فتعرفه بقولها: "أما الصريخ والاستصراخ شعرا، فهو ما استحدث في الإمارات الإسلامية المصطلح عليها بإمارات الثغور، من شعر يقوم على استنهاض همم الملوك، وشحذ عزائم المسلمين للقيام بما يقتضيه الجهاد ضد النصارى من نصرة ونجدة."[3]
ما نستنتجه من التعريفين السابقين ، أنهما متقاربين ويصبان في المعنى ذاته، فهو أدب يتناول هموم الأمة، والسقوط الذي آلت إليه ؛ وبالتالي فهو أدب ملتزم بقضايا المجتمع أساسا ، يحدد الأسباب، ويستنهض الهمم، ويجوب الآفاق بحثا عمن يلبى ندائهم

ج - الفرق بين الإصراخ والاستصراخ :

الاستصراخ والإصراخ في اللسان مصدران الأول من استصرخ بمعنى استغاث والثاني من أصرخ بمعنى أغاث. تقول استصرخني فأصرخته. والمستصرخ المستغيث ويقال له الصارخ والصريخ أيضا والمصرخ المغيث ويقال له الصريخ أيضا. وجميعها من الصراخ وهو في الأصل الصوت الشديد

---

1 عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان ، ص :413

2 محمد رضوان الداية ،الادب الأندلسي، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان ، ص: 160

3 حسناء بوزويتة لطرابلسي : حياة الشعر في نهاية الأندلس ، دار محمد علي الحامي ، صفاقس ، تونس ، ط:1 ، 2001 ص: 565

ما كان.[1]

أما الصريخ والاستصراخ شعرا، فهو اصطلح عليه بإمارات الثغور من شعر يقوم على استنهاض همم الملوك، وشحذ عزائم المسلمين للقيام بما يقتضيه الجهاد ضد النصارى من نصرة ونجدة. وقد ظهر هذا الموضوع الشعري في منتصف القرن الثالث ويبدو أن ابن الرومي (ت 283 / (896) أول من استعمل الكلمة في القصيدة التي رثى فيها أهل البصرة[2]

تُعدّ كلمتا "الاستصراخ" و "الإصراخ " شاهداً على ثراء اللغة العربية وتنوعها، حيث تُعبّران عن معاني عميقة مرتبطة بطلب العون وتقديم المساعدة .كما أنّ شعر الاستصراخ يُجسّد روح الجهاد والنضال التي اتّسم بها المسلمون في ذلك العصر.

د ـ نشأة شعر الإصراخ والاستصراخ

إن شعر الإصراخ والاستصراخ ليس بالمضمون الحديث حيث تعود نشأة ادب الاستصراخ إلى العصر الجاهلي إذ نجد العديد من الشعراء الجاهليين يبكون مدنهم ويستنجدون بقبائل ، أخرى لكن هذا الغرض من الشعر لم يكن منفردا بذاته حيث كان جزاء من قصائد الرثاء كما في قصائد الأسود بن يعفر

---

[1] المصدر السابق

[2] حسين اليعقوبي "قصائد غير منشوره في الاستصراخ والاسراف مجله دراسات اندلسيه . 5, 1990,73

النهشلي في رثائه لدولة المناذرة كذلك في العصر العباسي بكى العديد من الشعراء حصار بغداد

وإذا انتقلنا إلى العدوة الأندلسية، فإننا نعثر على نموذج مبكر احتفظ لنا التاريخ به متمثلاً في تلك المقطوعة التي خاطب بها عباس بن ناصح (ت 238هـ) الأمير الحكم بن هشام (ت 206هـ)، قائلا:

تَمَلْمَلَتُ فِي وَادِي الْحِجَارَةِ مُسْنِدًا أراعي نُجُوماً مَا يَرُونَ تَغَيُّرًا
إِلَيْكَ بالعَاصِي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي تسيرُ بِهِمْ سَارِياً وَمُهَجْرًا
تَدَارَكْ نِسَاءَ العَالَمِينَ بِنُصْرَةٍ فَإِنَّكَ أَحْرَى أَنْ تُغِيثَ وتَنْصُرًا[1].

فقد بعث الحكم شاعره عباس بن ناصح إلى وادي الحجارة المصاقب للنصارى في منطقة الثغر الأعلى، فسمع امرأة تستغيث بالحكم وتلومه على تقصيره عن حمايتهم من النصارى، فلما عاد ودخل عليه أنشده القصيدة، ووصف له خوف الثغر، واستصراخ المرأة باسمه، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فخرج بعد ثلاث ليال إلى وادي الحجارة ومعه الشاعر فغزا تلك الناحية وأثخن فيها وأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرة تلك المرأة وأنشد شعرا يرد فيه على شاعره يبين له فيه أنه لبّي النداء:

أَلَمْ تَرَ يَا عَبَاسُ، أَنِّي أَجَبْتُهَا عَلَى البُعْدِ اقْتَادُ الخَمِيسَ الْمُظَفَّرًا
فَأَدْرَكْتُ أَوْطَارًا وَبَرَّدْتُ عِلَّــةً وَنَفَسْتُ مَكْرُوباً وَأَغْنَيْتُ مُعْسِرًا[2]

على أنه لم يتح لهذه الصرخة ومعها التلبية من الشهرة ما كان للصرخة المدوية

---

1 الطبري : تاريخ الطبري ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج :8 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط :3 ، د.ت ، ص489

2 المصدر السابق

التي أطلقتها تلك المرأة للخليفة العباسي المعتصم بالله وامعتصماه"، ربما يكون لعناية المشارقة بتاريخهم وانتشار مؤلفاتهم.

إذا مما سبق لنا ذكره وبعد استظهار تاريخ شعر الإصراخ والاستصراخ يتبين ان هذا الغرض من الأدب ظهر قديما من الزمن الجاهلي لكنه لم يعرف استقلالا تاما واكتمالا الا في العصر الأندلسي لان هذا العصر كان عصرا مليئا بالفتن والحروب والتي كانت السبب في سقوط دولتهم فانتشار شعر الإصراخ والاستصراخ في الأندلس بكثرة جعل منه اندلسيا بحتا

لقد مر هذا الغرض الأدبي بمراحل عديدة في الأندلس والتي كانت الظروف التي تمر سببا في تطوره

ه ـ تطور شعر الإصراخ والاستصراخ: يعود أصل شعر الاستصراخ في الأندلس إلى فترة تصاعد خطر الممالك المسيحية خلال القرن الرابع الهجري. في هذه الفترة، بدأ الشعراء مثل لسان الدين الخطيب وابن خفاجة وابو البقاء الرندي وابن الابار البلنسي وابن زمرك وكذلك ابن زيدون في التعبير عن مشاعر القلق والخوف من المستقبل والهويّة المهددة. كانت قصائدهم تتميز بالبساطة والوضوح، وكانوا يدعون الملوك والأمراء إلى التوحيد والوحدة، وذلك لمواجهة التحديات القادمة فيقول احد الشعراء

يَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ الَّذِي يَسْتَعِينُ بِسُلْطَانٍ يَسْتَصْغِرُ الْعَوْنَا

إِنِّي لَعَبْدٌ مُهْلِكٌ إِنْ أَحْسَنْتَ وَإِنْ أَسَأْتَ لَسْتُ بِأَذَلَّ عُذْنَا

فَالْأَسَدُ تَسَاقَطَتْ عَلَيْهِ حِصَانُهُ وَالصَّقَالَةُ فِي وَلِّهَا تَرَكْنَا

أَمْسَكْتَ بِأَنَّةِ الْأُمَّةِ تُغْلَبُهُ لَا تَرَاجِعَنَّ أَوْ يُرْتَجَى إِنْقِلْنَا[1]

مع تصاعد الصراع بين المسلمين والمسيحيين في القرن الخامس الهجري، شهد شعر الاستصراخ فترة من الازدهار والابتكار، كما برزت شخصيات شعرية مثل ابن زمرك وابن عبدون. كانت قصائدهم تتميز استخدام الصور البلاغية القوية لوصف المشاعر والأحداث. كما كانوا يعبرون عن روح الصمود والفخر بالهوية الإسلامية في وجه التحديات

وَإِنْ كَانَ غَدًا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ رَبًّا نَفْرَحُ بِقُدُومِهِ وَنَرْتَجِيهِ

أَنَا وَحَظِّي الْيَسِيرُ وَقَلِيلِي عَلَى أَمْثَالِهِمْ لَا يُقَاتِلُنِي

وَإِنْ كَانَ مَا بَقِيَ فِي الْأَيَّامِ جِدُّهُ وَالنَّدَامَةُ فِيهِ مَكْتُوبَةٌ لَنَا

مع سقوط بعض المدن الأندلسية في أيدي الممالك المسيحية في القرن السادس الهجري، تأثرت موجات شعر الاستصراخ بالتشاؤم واليأس. ركز الشعراء في هذه الفترة مثل ابن حزم وابن رشيق على تعبير مشاعر الحزن والألم تجاه ضياع الأندلس وتدهور الأوضاع السياسية والثقافية.

بعد سقوط معظم المدن الأندلسية في القرن السابع الهجري، انتقل شعراء الاستصراخ إلى المغرب، حاملين معهم روح الحنين والرثاء على فقدان الأندلس

[1] قصائد غير معروف أصحابها على جدران قصور الأندلس

الحبيبة. حيث كانت قصائدهم تعبر عن مشاعر الغربة والوحدة، وتعكس حنينهم العميق لتراثهم المفقود ولأوطانهم التي فقدوها وبدأوا برثاء ممالكهم

وهذه أبيات إحدى قصائد الاستنجاد والاستصراخ التي بعثت إلى أحد ملوك الدولة الزيانية

هَلْ مِنْ مُجِيبٍ دَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ أَوْ زَائِرٍ أَتَى الْعُرَى مُلَوِّحًا

مَنْ قِيلَ إذا مَا أُقْبِلَ الْفُؤَادُ تَشْكُو إلى غَيْرِ اللَّهِ ذَا السُّوءِ

هَلْ مِنْ دَمْعَةٍ زَائِلَةٍ بِدَمْعٍ تَبَلَّلُ فِي الصَّدْرِ مِنْهَا الثَّرَى

هَلْ مِنْ نَجْمَةٍ أَهْتَدَيْتُ بِهَا لِلنُّورِ وَالتَّمْكِينِ وَالنَّفَعِ

وبرسالة الوزير لسان الدين بن الخطيب يذكر فيها أنهم :" ... لم يعانوا منذ أن فتحت الأندلس شدة ، وضيقا أشدّ مما هم عليه الآن . وذكر بأن ملك النصارى جمع لهم جيوشا من سائر الأمم النصرانية . وأنهم قاموا بإحراق الزروع . والمسلمون ليس لهم مغيث يلجأون إليه – بعد الله – سوى إخوانهم في الدين . وذكر بأنهم كانوا قد أعلموا المرينيين بهذا الخطر ، وأنهم يقومون بما يقدرون عليه من دعم ومساندة . وأنهم لا يملكون غير أنفسهم ، وقد بذلوها في سبيل الله . وهم ينتظرون نجدتكم " [1]

و ـ شعر الاستصراخ والدعوة إلى الجهاد:

---

[1] أحمد محمد عطيات ، الأندلس من السقوط الى محاكم التفتيش ، دار أمواج للنشر والطباعة ، عمان ،الأردن ،2012،ط:1،ص:120

بدأ هذا الغرض من الشعر مبكِّراً، وترجع في نشأته إلى فترة الإمارة التي تأسست عام 138 ه وحافظ الأندلسيون على كيانهم حتى سقوط الخلافة في دمشق، ولم يدر بخلدهم أن يستحثوا إخوانهم في شمالي أفريقيا لنجدتهم إلا بعدَ أن أدركوا أن قوتهم لم تعد تجدي أمام قوة أعدائهم من النصارى. وبالتالي أصبَح الشاعر الأندلسي لسان حال مجتمعه في طلب النجدة من إخوانه في المغرب ضارباً بذلك على وتر الأخوة الإسلامية، ووحدة العقيدة، وأصبح فن الاستصراخ والاستغاثة غرضاً رئيسياً في شعر الحروب والفتن[1]

وبدأ شعر الاستصراخ والاستغاثة جدِّيته مع انحلال دولة بني أمية وقيام الثورات والدويلات الصغيرة التي لم تكن تتمتع بالقوة القادرة على الصمود في وجه التحديات الإسبانية، ويزدهر هذا النمط من الشعر في عهد الموحدين، ويتخذ في بعض الأحيان طابعاً رسمياً، ولكنه يتميز بصورتهِ المعبرة والمتأسيّة.

وفي عصر بني الأحمر، أصبحت نداءات الشعراء واستغاثاتهم تعبر عن مكنون داخلي من القهر والاضطهاد، وخاصة بعد توالي سقوط المدن الأندلسية، وارتباط سلاطين بني الأحمر بعلاقات وطيدة مع إخوانهم المغاربة، وبشكل مباشر مع بني مرين ارتباطاً دينياً ومصيرياً.

فعندما تدهورت دولة الموَّحدين، وبدأت المدن الأندلسية تتساقط تباعاً في أيدي النَّصارى، أحسَّ الأندلسيون أن هذه الدولة لا تستطيع نجدتهم، لذا اتجهت

[1] ، إبراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، 1966،"ط:1 ص:21

أنظارهم للحفصيين بتونس، فخاطبهم ابن الأبار عندما حوصرت بلنسية 635 ه يدعوهم للعبور والجهاد لإنقاذ المدينة المحاصرة فيقول:

أَدْرِك بخَـيْلـكَ خيلَ الله أندلســا إنَّ الســبيلَ إلى مناجاتها دَرَسا

وهب لها من عزيز النَّصْرِ ما التمَست فلَم يَزَل مِنْكَ عزُّ النَّصْرِ ملتمس [1]

يريد الشاعِرُ من أبي زكريا الحفصي أن يعيدَ للبلادِ عِزّها ومجدها، وأن يحقق النَصر على الأعداء بخيله التي هي خيل الله من خلال مخاطبته بفعل الأمر أدرك. وكأن ابن الأبار يكتب التاريخ آنذاك فإن المدينة سقطت قبل أن يدركها أيُّ من جيوش المسلمين.

ويستصرخ الأمير الأفريقي ويستنجد به بصوت مرتفع مسموع، وإيقاع نحسُّ بصدوره من قلبه على الرغم من الصنعة البديعية الوافرة الفاشية في القصيدة[2]، إنه يبدي الحزن ويظهر الأسى على ما حلَّ بالمدينة الجميلة وما حولها. ويتابع ابن الأبَّارِ قوله:

صِلْ حَبْلَها أيها المَولى الرَّحيم فمـا أبقـى المراسُ لـها حَبلاً ولا مَرَساً

---

[1] أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ط:2 ، ص: 215

[2] مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، بيروت ، لبنان ، ص:175

وأحيِ ما طمستْ منها العُداةُ كما أَحيْيَتَ من دعوة المهديِّ ما طُمِسَا

أيامَ صِرْت لِنَصْرِ الحقِّ مُسْـتَبِقاً وبتَّ من نورِ ذاك الهَدْي مُقْتَبِسا[1]

يستعين ابن الأبار بصيغة الأمر من خلال الأفعال (صِلْ, وأحي) في سبيل مدحه للأمير، وحثه على نجدة إخوانه بالإضافة إلى إلقاء صيغ التوسل بين يديه مورطاً إياه بما خلعه عليه من ألقاب الإمامة وصفات البسالة والبطولة. فأبو زكريا هو الذي أحيا دعوة المهدي بعدما طمسها وهو الذي أخذ يستبق إلى نصرة الحق ونشر ألوية العدل والواقع أن الشاعر قد استغل هنا الفكرة المهدوية على نطاق واسع، فكيف لا يقوم الملك الحفصي بتطهير البلاد من الدنس والكفر، والتطهير صفة من صفات الإمام، فقد كان الإمام أو الخليفة في العصر الإسلامي يقود الجند أحياناً كثيرة لزرع روح الحمية والشجاعة في نفوسهم. والحق أن بلنسية بما لحقتها من محنٍ وما حلَّ بها من ضياع قد نالت الكثير من اهتمام الشعراء والحزن والأسى بالإضافة إلى البكاء على نصرتها والتحمس لرثائها والاستنجاد من أجل نصرتها وإعادتها.[2]

ومِنَ المدن التي كافحت غزو النصارى ببسالة وضراوة وعزم وإيمان وتصميم على تحقيق النصر اشبيلية العتيدة قلعة المعتضد بن العباد وعرين ابنه المعتمد, لقد تعرضت هذه المدينة الباسلة لأشرس حملة صليبية شهدها ذلك

---

[1] الديوان ، قصيدة ابن الأبار البلنسي

[2] نفس المصدر السابق

القرن, بمساندة أمير مسلم حارب مع النصارى ضد أمته وشعبه, وبالرغم من ذلك لم يكن ابن الأحمر الوحيد بين الأمراء الذين ساندوا الكفر ضد إخوانهم انتقاماً من خصومهم, ومع ذلك قاومت اشبيلية وصمدت ثمانية عشر شهراً حتى نفد الطعام والسلاح ولم تجد بداً من الاستسلام عام645 هـ مقابل حفظ دماء أهلها وحفظ أموالهم وأعراضهم, وخلال تلك المقاومة كتب شاعرها إبراهيم بن سهل الاشبيلي قصيدته لاستنهاض همم المسلمين واستصراخهم فيها يقول:

نَادَى الْجِهَادُ بِكُمْ بِنَصْرٍ مُضْمَرٍ يَبْدُو لَكُمْ بَيْنَ الْقَنَا وَالضُّمْرِ

يَا مَعْشَرَ الْعُرْبِ الَّذِينَ تَوَارَثُوا شِيمَ الْحَمِيَّةِ كَابِرًا عَنْ أَكْبَرِ

إِنَّ الْإِلَهَ قَدِ اشْتَرَى أَرْوَاحَكُمْ بِيعُوا وَيُهْنِئْكُمْ وَفَاءُ الْمُشْتَرِي[1]

لقد استنجدَ الشاعر بجميع العرب الذين ورثوا النخوة والشجاعة العربية فالنداء هنا شامل للجميع، وقد تميزت أبياته بدقة الألفاظ وسحر الأسلوب، وقد ارتفع قوله إلى مقام القول المجاهد والشعر المحارب والدعوة إلى القتال، ابتغاء النصر أو بلوغ الشهادة مستغلاً إيقاظ العاطفة الدينية والنخوة الإسلامية

فالمعاني كلها تدور حول الجهاد مثيرة بذلك شعور قوم أجهدهم اليأس، والقصيدة تعتبر بحق من أحسن القصائد ذات الطابع الإسلامي والوطني في الشعر الأندلسي.

[1] - ابن سهل الإسرائيلي : الديوان ، تح : بطرس البستاني ، مكتبة صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ،1953 ، ص:66

الفصل الأول

موضوعات الاستصراخ في المدونة ومضامينها

1- الظواهر الموضوعية في شعر الاستصراخ:

لا شك أن لهذا الغرض الشعري جملة من الخصائص المضمونية التي تميزه عن الأغراض الشعرية الأخرى، وإن اشتركت مع أغراض أخرى كشعر الحنين وشعر رثاء المدن والمماليك الزائلة، والقصيدة الاستصراخية تتألف عادة من مجموعة من الوحدات المترابطة ترابطا عضويا سواء من جهة الموضوعات التي تتناولها أو من جهة الحالات الانفعالية التي تشيع فيها.

أما الموضوعات القصيدة الاستصراخية، فتأتي غالبا بالشكل الآتي:

الحماسة: وهو أول طابع نقف عليه في معظم قصائد الاستصراخ ويقصد به تلك الحماسة العالية المرتفعة ، وتلك الحرارة وذلك العنف الذي نلمسه في ثنايا شعر الشاعر وهو يدعو إلى الجهاد ويستنفر الهمم لاسترداد ما سلب ، وهذا ما يتجسد في استهلال قصيدة "ابن الأبار" السينية الشهيرة التي يقول في مطلعها مخاطبا "أبا زكريا الحفصي" أمير تونس إثر حصار "بلنسية" من طرف "خايمي الأراغواي" سنة 635 هـ :

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللهِ أندلُسَاً إنَّ السَّبِيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسَا

وَهَبْ لهَا مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عزُّ النَّصْر مُلْتَمَسا

وَحاش مِمَّا تُعانِيهِ حُشَاشَتَهَا فَطَالَما ذَاقَتِ البَلوَى صَبَاحَ مَسَا

يَا للجَزيرَةِ أَضْحَى أَهلُها جَزَراً لِلحَادِثَاتِ وأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسا[1]

رثاء المدينة المنكوبة ورسم الصورة المأساوية التي وصلت إليها المدينة المستغاث لها وكذا وصف المآسي التي حلت بالمدن الأندلسية التي سقطت في أيدي الأعداء، وفي أثناء هذا الوصف يعمد الشاعر دائما إلى المقارنة بين أحوال المدن المنكوبة قبل سقوطها وبعد سقوطها، مركزا على التحولات في الجانب الديني : خروج الإسلام منها وحلول الكفر محلة التحول المساجد إلى كنائس، حلول صوت النواقيس والأجراس محل صوت الاذان يقول "ابن الأبار" مركزا على هذا العنصر في سينيته

يَا للجَزيرَةِ أَضْحَى أَهلُها جَزَراً لِلحَادِثَاتِ وأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسا

في كُلِّ شارِقَةٍ إلْمَامُ بَائِقَةٍ يَعُود مَأتَمُها عِندَ العِدَى عُرُسا

وكُلِّ غَارِبَةٍ إجْحَافُ نائِبَةٍ تَثْنِي الأَمَانَ حِذاراً والسرُور أَسَى

تَقَاسَمَ الرومُ لا نَالَتْ مَقَاسِمُهُم إلا عَقَائِلَها المَحْجوبَةَ الأُنُسَا[2]

---

[1] حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص: 512

[2] الديوان ، قصيدة ابن الأبار البلنسي

مديح المستغاث به واستصراخه قائدا كان أم جماعة: كما فعل" ابن الأبار " في سينيته التي تتكون من ثمانية وستين بيتا منها ما يقرب من ثلاثة وعشرين بيتا في رثاء بلنسية ووصف سوء أحوالها والباقي في مدح الأمير الحفصي "أبوزكريا" واستصراخه، يقول في ذلك :

صِلْ حَبْلَهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا أَبْقَى الْمَرَاسُ لَهَا حَبْلاً وَلا مَرْسَى

وَأَحْيِ مَا طَمَسَتْ مِنْهُ الْعِدَاةُ كَمَا أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيِّ مَا طُمِسَا

أَيَّامَ سِرْتَ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُسْتَبِقًا وَبِتَّ مِنْ نُورِ ذَاكَ الْهُدَى مُقْتَبِسًا

وَقُمْتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرًا كَالصَّارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالْعَارِضِ انْبَجَسَا

هَذِي رِسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِنْ كُتُبٍ وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَنْسَى

مَلِكٌ تَقَلَّدَتِ الْأَمْلاَكُ طَاعَتَهُ دِينًا وَدُنْيَا فَغَشَّاهَا الرِّضَى لَبِسَا[1]

[1] إبراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، 1966،"ط:1 ص:127

فقول الشاعر للأمير الحفصي "أبوزكريا"

صِلْ حَبْلَهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا أَبْقَى الْمَرَاسُ لَهَا حَبْلاً وَلا مَرْسَى [1]

يناشد الشاعر الحاكم بأن يمد يد العون للأندلس التي فقدت كل سند وملجأ:

وَأَحْيِ مَا طَمَسَتْ مِنْهُ الْعِدَاةُ كَمَا أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيِّ مَا طُمِسَا

وهنا يطلب الشاعر إحياء ما أُهمل أو دُمر من الدين والثقافة الإسلامية، كما تم إحياء دعوة المهدي في الماضي.

أَيَّامَ سِرْتَ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُسْتَبِقًا وَبِتَّ مِنْ نُورِ ذَاكَ الْهُدَى مُقْتَبِسًا

ثم يذكّر الشاعر الحاكم بأيام النصر والهداية التي كان يسعى لها.

- **وَقُمْتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرًا كَالصَّارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالْعَارِضِ انْبَجَسَا**

يشبه الشاعر الحاكم بالسيف القوي والسحاب الذي ينفجر بالمطر، في إشارة إلى القوة والعزم.

- **هَذِي رِسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِنْ كُتُبٍ وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَنْسَى**

[1] الديوان ، قصيدة ابن الأبار البلنسي

تُعبر الأبيات عن الرسائل التي تركتها الأندلس تدعو الحاكم للتذكر والعمل.

ثم في قوله

مَلِكٌ تَقَلَّدَتِ الْأَمْلاَكُ طَاعَتَهُ دِينًا وَدُنْيَا فَغَشَّاهَا الرِّضَى لَبِسَا

يُعلي الشاعر من شأن الحاكم الذي يطيعه الناس في الدين والدنيا، ويُحيطه الرضا.

وأخيرا نجد أن نجد تجسيدًا لروح الاستغاثة والتوسل العميقة التي تعبر عن الحاجة الملحة للعدالة والنصرة. يستخدم الشاعر الصور البلاغية والتشبيهات ليُظهر رغبته في إحياء الحق والدعوة للإصلاح، ويُناجي القوى العليا طلبًا للمساعدة والتأييد الإلهي. يُشبه نفسه بالسيف الجاهز للقتال ، مُعبرًا عن القوة والعزم. ويُظهر الثقة في الملك الذي يُرجى منه الاستجابة والمساعدة، مُختتمًا بتوسله للحصول على الدعم في مواجهة التحديات. هذه الأبيات تُعكس الأسلوب الأندلسي الفريد في التعبير عن المشاعر الإنسانية الراقية والتطلع نحو الأمل والإصلاح

تعريف الاستغاثة لغة و اصطلاحا :

أ ـ الاستغاثة لغة :

في لسان العرب :الاستغاثة: طلب الغوث، وهو لإزالة الشدة[1].

وتعرف أيضا بـطلب الغوث، وهو إغاثة المستغيث من الشدائد[2]

ب ـ الاستغاثة اصطلاحا :

الاستغاثة هي طلب العون من الله تعالى في وقت الشدة والضيق[3]

ج ـ تعريف شعر الاستغاثة في الأندلس :

يندرج شعر الاستغاثة ضمن مواضيع شعر الاستصراخ، وله أسماء أخرى مثل الاستنجاد والاستنفار، وشحذ الهمم والدعوة إلى الجهاد، ورفض الظلم

---

1 ابن منظور ،لسان العرب ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان،2001، ط:3 ،ص: 511

2 الزبيدي ، تاج العروس دار صادر - دمشق ، سوريا ، 1984 ، ص:343 .

3 نقلا عن حاشية ابن عابدين - رد المحتار على الفتح الكبير - المجلد السادس - الصفحة 369

والاستبداد، وتناول شعر الاستغاثة الأحداث التاريخية والسياسية التي حصلت بين أهل الأندلس والدول التي كانت معادية لهم.

د -الاستغاثة في المدونة

لقد كان الشعر الناتج من شعراء الأندلس في هذا الغرض نابع من وجدان الأمة، وما مرت به من ظروف قاسية، وفي هذا الشعر استعراض للهمم، والدعوة إلى الجهاد، وقد أدى الشاعر الأندلسي واجبه من نداء وتنبيه، ودق ناقوس الخطر بشكل رائع معبر يؤثر في نفوس جميع أهل الأندلس.

ونستطيع القول أن هذا الغرض من الشعر قد ظهر وبرز بشكل واضح في عصر الملوك والطوائف، نتيجة لما حدث من أحداث وويلات ونكبات في هذا العصر، وسقوط للمدن الأندلسية، وقد رافق كل هذه الويلات، وهذا السقوط شعر الشعراء الذين بكوا مدنهم الزائلة ورثوها في قصائدهم، ويعتبر أولى صرخات الاستغاثة والاستصراخ كانت في هذا العصر، عصر الطوائف والمرابطين.[1]

لقد تطور هذا الغرض من الشعر في هذا العصر، فقد ظهر ظهورا واضحا في عصر دول الطوائف حيث فقد أهل الأندلس مدنا ومواقع، استرد المرابطون

بعضها وضاع بعضها الآخر نهائيا كضياع طليطلة

وبضعف الدولة الموحدية وانتكاسها أمام ضربات العدو، اشتد ظهور هذا النوع واستمر إلى غاية أفول شمس

---

[1] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، 2008 ،ص:88

العرب عن بلاد الأندلس، فلما تكالب العدو على الأندلس في أواخر دولة بني عبد المؤمن ، كان المدافع عن بلنسية الأمير

زيان بن أبي الحملات فاضطر إلى الاستغاثة بصاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص من دولة الموحدين، وأوفد عليه

بالرسالة أبا عبد الله بن الأبار القضاعي الحافظ الكاتب الشهير ، فقام بين يدي السلطان بتونس وأنشده قصيدته

السينية الفريدة يقول فيها:

. أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا إِنَّ الطَّرِيقَ إلى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا

وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عَزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا

وَحَاشَ مِمَّا تُعَانِيهِ حَشَاشَتُهَا فَطَالَمَا ذَاقَتِ الْبَلْوَى صَبَاحًا مَسَا

يَا لِلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلُهَا جُزُرًا لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدْهَا تَعْسَا

فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلْمَامٌ بَارِقَةٌ يَعُودُ مَأْتَمُهَا عِنْدَ الْعَدُوِّ عُرْسَا

وَكُلُّ غَارِبَةٍ إِجْحَافٌ نَائِبَةٌ تَثْنِي الْأَمَانَ حَذَارًا وَالسُّرُورَ أَسَى

تَقَاسَمَ الرُّومُ لَا نَالَتْ مَقَاسِمُهُمْ إِلَّا عَقَائِلُهَا الْمَحْجُوبَةُ الْأَنْسَا

وَفِي بَلَنْسِيَةَ مِنْهَا وَقُرْطُبَةَ مَا يَذْهَبُ النَّفْسُ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا

مَدَائِنُ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسِمًا جَذْلَانَ وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مِبْتَئِسًا

وَصِيرَتْهَا الْعَوَادِي الْعَاثِرَاتُ بِهَا يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضُعْفَ مَا أَنِسَا

يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعَدُوِّ بِيَعًا وَلِلنِّدَاءِ يَرَى أَثْنَاءَهَا جَرْسًا

لَهْفِي عَلَيْهَا إلى اسْتِرْجَاعِ فَائِتِهَا مَدَارِسًا لِلْمَثَانِي أَصْبَحَتْ دُرْسًا[1]

فسارع الأمير أبي زكريا للاستغاثة بالأسطول الثقيل والمال الجزيل، لما أحدثته هذه القصيدة في نفس الملك من ارتياح وأثر، ولشغفه بها وحسن موقعها منه فبادر بالإعانة أهل بلنسية، التي كانت محاصرة من طرف ملك برشلونة والذي أخذها صلحا سنة 637هـ[2]

---

[1] الديوان ، قصيدة ابن الأبار البلنسي

[2] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، 2008 ،ص:88

تعريف الحنين لغة واصطلاحا :

أ ـ الحنين لغة:

بالرجوع إلى جذر الكلمة، الفعل الثلاثي "حنن" الذي طرأ عليه التضعيف ـ لغير زيادة ـ فصار "حن" وتصريفه حن، يحن، حنينا.

وقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور حنن: الحنان من أسماء الله الحسنى، قال ابن الأثير: الحنان الرحيم بعباده.

ب ـ الحنين اصطلاحا :

والحنين الشوق وتوقان النفس، وقد (حن إليه يحن ـ بالكسر ـ حنينا فهو حان، والحنان الرحمة، وقدحن عليه (يحن ـ بالكسر ـ حنانا)[1]

ومنه قوله تعالى ": **(وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً)**[2]

وحننت الإبل: نزعت إلى أوطانها أو أولادها، والناقة تحن في إثر ولدها حنينا: تطرب مع صوت، وقيل حنينها: نزاعها صوت وبغير صوت والأثر أن الحنين بالصوت. والمستحن: الذي استحنه الشوق إلى وطنه، حنن: الحنين الشوق، وشدة البكاء. حن يحن حنينا: استطرب، فهو استحن وتحان 3

---

[1] الإمام محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1 1994م – 1414هـ(، ص) ،76مادة: حنن.

[2] سورة مريم، الآية .13

[3] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ، ط ،ص187.

فالحنين معناه الشوق وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم، وهو يكشف عن مدى معاناة المغترب بعيدا عن وطنه.

والحنين من المشاعر النبيلة الإنسانية التي تهز آيان الإنسان فهو عاطفة تشد الفرد بأهله مهما ابتعد المكان وطال الزمان واستحال اللقاء بعد الفراق

إن من بين عوامل شيوع الحنين بين الشعراء موضوع مرتبط بتجربة الشاعر والغربة ومعاناة الفقدان نجد عامل سقوط المدن والذي آن نتيجة الأحداث السياسية والتاريخية التي عرفتها البلاد فلما انتشر الضعف في الأندلس وتوالت الأزمات الداخلية فأصبح الطريق مفتوحا أمام النصارى جلاء الأشلاء الممزقة، وسرعان ما أخذت المدن الأندلسية تسقط تباعا على يد النصارى الأبسان، فسقطت مدينة طليطلة وبلسينة وقرطبة، وغيرهم من المدن ولم يبق للمسلمين سوى غرناطة

د ـ الحنين في المدونة:

الحنين غرض قديم في الشعر العربي، وقد تطور بتطور الشعر ومناحيه و مؤثراته ، وكان أكثر انتشارا في الأندلس نتيجة سقوط مماليكها و مدنها مما دفع الكثير إلى الهجرة نحو شمال افريقيا وإلى المشرق لكن بعد الهجرة بدا الحنين إلى اوطانهم يملأ صدورهم فبدأ الشعراء بنظم قصائد الحنين و الشوق إلى الوطن و الندم على الهجرة

لذا فقد قدر على الأندلسيين أن يعيشوا مرحلة البعد والحنين إلى الوطن، مما جعلهم

يذوقوا مرارة الضياع والتشتت فمنهم من نزل بالمغرب ومنهم رحل إلى المشرق، فكانت تجربة الحنين عميقة في نفوسهم، وقد ظهر شعر الحنين في الأندلس ليصور أحوال الأندلسيين في مواطنهم الجديدة التي هاجروا إليها.

إن الحنين يندرج ضمن موضوعات الاستصراخ فنجد الحنين في المدونة في قول الشاعر الأندلسي أبو بكر محمد بن القاسم :

أَيْنَ أُقْضِي الْغُرْبَ مِنْ أَرْضِ حَلَبٍ أَمَلٌ فِي الْغُرْبِ مَوْصُولُ التَّعَبِ

حَنَّ مِنْ شَوْقٍ إلى أَوْطَانِهِ مَنْ جَفَاهُ صَبْرُهُ لِمَا اغْتَرَبِ

جَالَ فِي الْأَرْضِ لَجَاجًا حَائِرًا بَيْنَ شَوْقٍ وَعَنَاءٍ وَنَصَبِ

كُلُّ مَنْ يَلْقَاهُ لَا يَعْرِفُهُ مُسْتَغِيثًا بَيْنَ عَجَمٍ وَعَرَبِ

يَا أَحِبَّائِي اسْمَعُوا بَعْضَ الَّذِي يَتَلَقَّاهُ الطَّرِيدُ الْمُغْتَرِبِ

وَلْيَكُنْ زَجْرًا لَكُمْ عَنْ غُرْبَةٍ يَرْجِعُ الرَّأْسُ لَدَيْهَا كَالذَّنَبِ[1]

لقد رحل الشاعر الأندلسي أبو بكر محمد بن القاسم من الأندلس إلى المشرق لما بدأت الصراعات في قرطبة، فجال في العراق وبعدها أقام بحلب ثم غلبه الحنين

[1] محمد رضوان الداية ،الادب الأندلسي، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان ، ص: 237

فحن إلى وطنه وديارِه وأهله، وقد صور لنا المهانة التي يلقاها الغريب، داعيا ومناديا قومه للاتعاظ بما قاساه وعاناه، وصور أيضا حنينه وشوقه إلى بلاده التي فر منها بسبب الفتن والمشاكل وصراع الحكام بعد ان كانت جنة على الأرض تزهو بطبيعة خلابة و ازدهار بالعلوم و التطور

وبلاد الأندلس بما حياها المولى به من جمال في الطبيعة، فهي ذلك الصقع الجميل الذي له

ألطف أثر وأجمل وقع في نفوس أبنائه فيجعل الشاعر من جمالها ذروة لا تفوقها ذروة ويذكرها في حلة وترحاله ويظهر ذلك جليا في أبيات مشهورة لابن خفاجة يقول فيها:

يَا أَهْلُ أَنْدلُسُ اللَّهُ دَرُّكُمْ مَا جَنَّةُ الخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ

مَاءً وَظِلٌّ وَأَنْهَارُ وأشجار وَلَوْ تَخَيَّرتْ هَذَا لَكُنْتُ أَخْتَارُ

لا تَخْشُوا بَعْدَ ذَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيْسَ نَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ[1]

والطبيعة إذ تناولها شعراء الأندلس فهم ألموا بكل جوانبها وشتى أنواعها، ومنها الطبيعة الخضراء، والمياه والجبال والأودية، وكذا الطير والحيوان، لقد أصبحت الطبيعة الأندلسية أداة ومنقذا للتعبير عن حنين الشعر إلى أوطانهم،

[1] الديوان ، قصيدة ابن خفاجة

فتذكروا طبيعتها حين شعروا بفقدانها، ولم يجدوا نظيراً لها ولا لجمالها، فانعكست في قصائدهم آثار الشوق والحنين إليها وغدت عند الكثيرين منهم جنة الله في أرضه.[1]

اما عند ابن زمرك فالحنين يعني الحنين إلى غرناطة فهي بلاده وموطنه الذي عاش فيها كثيرا وتربى وترعرع فيها ومن قصائده يستنتج انه كان محبا لها كثيرا فهي جنه في نظره وهي خير البلاد فلا يمكنه ان يفضل بلادا اخرى عن غرناطة فهي الام الحنون

يقول ابن زمرك **:**

خُلِقْتُ مِنْ عَادَتِي الْوَفَا أُهِنُّ لِلْإِلْفِ وَالسَّكَنِ

غَرْنَاطَةُ مَنْزِلُ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهَا وَالسُّؤَالُ وَالْوَتَرِ

تَبْهَرُ بِالْمَظْهَرِ الْعَجِيبِ فَلَا عَادَ رَبْعُهَا الْمَطَرِ

ففي هذه الابيات معنى التعلق بغرناطة والتشوق اليها مما يزيد العاشق لوعه ولهفه انه خلق الوفا يحن إلى الالف وان الالف منزله غرناطة ذات المنظر العجيب فحب الحبيب لا ينفصل عن حب الوطن، بل هو فرع من أصل والحب عنده شجره فروعها عديده واصلها واحد ضمت جذورها ارض غرناطة الحبيبة [2]

[1] أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي ، بيروت ، لبنان، 2006- ص 250

[2] حياة الشعر في نهاية الأندلس حسناء بوزويتة الطرابلسي ص 450

تعبر ابيات ابن زمرك عن الحنين والشوق إلى مدينة غرناطة، وهي تعكس مشاعر الولاء والإخلاص التي يحملها الشاعر لهذه المدينة. يبدأ الشاعر بالتأكيد على طبيعته الوفية، ويصف كيف أن هذه الطبيعة تجعله يشعر بالذل لأجل الألفة والاستقرار. ثم ينتقل لوصف غرناطة كمنزل للحبيب، ويشير إلى القرب والدعاء والترتيل كعناصر تزيد من جمال المدينة ورونقها.

في البيت الثالث، يصف الشاعر المظهر العجيب لغرناطة، وكأنها تبهر الناظرين بجمالها الفريد الذي لا يمكن أن يُمطر عليها، في إشارة إلى ندرة جمالها وفرادتها. الحنين هنا يأتي من خلال التعبير عن الإعجاب الشديد والشوق العميق لهذه المدينة التي تحمل في طياتها ذكريات الشاعر ومشاعره

تعريف الرثاء لغة واصطلاحا :

أ ـ الرثاء لغة

يمكن تعريف الرثاء في اللغة على أنَّه مصدر للفعل رثى، يرثي فهو راثٍ ومرثيٌّ، ومعنى رثى أي بكى أو كتب كلامًا على أحد الميتين، والرثاء هو صوت البكاء مع الكلام على الميت، صوت الكلام أثناء البكاء على الميت[1]

ب ـ الرثاء اصطلاحا

ويُعرّف اصطلاحاً بأنه ذكر الميت وذكر محاسنه ومناقبه وخصاله الحميدة مثل: الكرم، والعفّة، والشجاعة، ووصف الحال بعد فقدانه، وما يحمله من مشاعر وحزن كبير، ويُصنّف الرّثاء على أنه أحدُ ضُروبِ الشعر العربي، وهو أكثر ها عاطفةً؛ لأنّ منبعه هو القلب، فكلما زادت الصلة بين الشاعر والشخص الميت زادت قوة القصائد الرثائيّة، وقوّة وعمق المعاني، والعاطفة المتدفقة في أبيات القصيدة بشكل كبير، واشتُهر الرثاء عند العرب بشكل كبير؛ لما يحمله من تخليد للميت، وإبقاء ذكره على ألسن الناس كلما ذكروا ما كُتب فيه من قصائد ورثاء[2]

هو فن من فنون الشعر العربي أو غرض من أغراض الشعر العربي القديمة، ويقول بعض النقاد إنَّ الرثاء هو أصدق الأغراض الشعرية من حيث الشعور والعاطفة ودقة تصوير التفاصيل.[3]

---

[1] المعاني، اطّلع عليه بتاريخ 02-01-2017. بتصرّف.

[2] أسعد محمد علي النجار، م. رائدة مهدي جابر (2012)، "الرثاء عند شعراء الحلة"، مجلة مركز بابل للدراسات الحضاريّة والتاريخيّة، العدد 2، المجلد 2، صفحة 2. بتصرّف.

[3] عبد الرحمن حسين: رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر الأندلسي حتى سقوط غرناطة، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، 1983.

ج - تعريف رثاء المدن :

يعتبر رثاء المدن أحد الموضوعات المهمة في تاريخ الشعر العربي، وهو نوع من أنواع الرثاء في الشعر، ظهر هذا الغرض لأوَّل مرةٍ في العصر العباسي، وكان رائده ابن الرومي، ولكنَّ را المدن لم يشتهر كثيرًا في هذا العصر، حتَّى جاء العصر الأندلسي وبدأت المدن الإسلامية تتهاوى واحدة تلو الأخرى في يد الإسبان، فظهر رثاء المدن في تلك الفترة بقوَّة، فتوسَّعت معانيه وازداد كاتبوه، وكان انعكاسًا أدبيًا على سقوط المدن الإسلامية في الأندلس وعلى نكسات المسلمين وهزائمهم في تلك البلاد[1]

د - الرثاء في المدونة :

ان من أشهر من رثى المدن الأندلسية الشاعر أبو البقاء الرندي الذي اشتهرت له قصيدة في رثاء المدن الأندلسية والتي يقول فيها:

لكلّ شيءٍ إذا ما تَمّ نقصـــانُ فلا يُغرَّ بطيبِ العيشِ إنســـــانُ

[1] نفس المصدر

هي الأمورُ كما شـهدتها دُولٌ مَنْ سـرّهُ زمنٌ ساءَتهُ أزمـــانُ1

نجد هنا ان الشاعر أبو البقاء الرندي في ابيات أخرى من القصيدة يرثي المدن فيقول :

وَأَين قُرطُبة دارُ العُلُومِ فَكَم مِن عالِمٍ قَد سَما فِيها لَهُ شانُ

وَأَينَ حمص وَما تَحويهِ مِن نُزَهٍ وَنَهرُها العَذبُ فَيّاضٌ وَمَلآنُ

قَوَاعد كُنَّ أَركانَ البِلادِ فَما عَسى البَقاءُ إذا لَم تَبقَ أَركانُ

تَبكِي الحَنيفِيَّةُ البَيضَاءُ مِن أَسَفٍ كَما بَكى لِفِراقِ الإِلفِ هَيمَانُ

عَلى دِيارٍ منَ الإِسلامِ خالِيَةٍ قَد أَقفَرَت وَلَها بالكُفرِ عُمرانُ

حَيثُ المَساجِدُ قَد صارَت كَنائِس ما فيهِنَّ إِلّا نَواقِيسٌ وصلبانُ

حَتّى المَحاريبُ تَبكي وَهيَ جامِدَةٌ حَتّى المَنابِرُ تَبكي وَهيَ عيدَانُ

فنجد الشاعر هنا يرثي المدن التي سقطت في ايادي النصارى ويتحسر على فقدانها

كما انه يذكر محاسن كل مدينة ويذكر ما كان فيها من خيرات ويعد ما كان يعيشه أهلها من نعيم ثم نجده يتأسف عن فقدانها يندم على ما ضيعه أهلها

[1] قصيدة أبو البقاء الرندي لرثاء الممالك الأندلسية تعتبر من اشهر قصائد الرثاء

أما في الابيات الأخير من هذه العينة نلاحظ ان أبو البقاء الرندي يذكر ما كان يعيشه هو وسكان بلاده في ديار الإسلام والمدن التي كان يعج بالمسلمين ديارها ويتحدث عن المساجد التي كانت تملأ المدن ثم بعد سقوط الدولة وهجوم النصارى على مدنهم تحولت عمران المدينة ملك للكفار و أعداء الدين كما ان المساجد حولها النصارى إلى كنائس بها نواقيس و صلبان كما وصف حال المنابر الخشبية بقوله حتى المنابر تبكي وهي عيدان

علاقة الرثاء بالإستصراخ:

لقد عشق أهل الأندلس بلادهم وهاموا بها، كما هام بها الشعراء الذين أدركوا قيمتها فقدروها، كما أدركوا مكانتها الحضارية والثقافية على مدار التاريخ، ولعل أهم ما تعلقوا به تلك الطبيعة الساحرة المذهلة، مما جعل وضعهم لها بارعا، فأحبوها وهاموا بها، إلى درجة أنها أصبحت جزء منهم، فما من غرض ينظمون فيه أشعارهم إلا وكان لذكر الطبيعة فيها سهم كبير، إلا أن الحروب والفتن المتواصلة مع الإسبان ودول أوربا المسيحية، وشدة العواصف بين العرب والمسلمين أنفسهم، كل هذا وذلك جعل أوصال الأندلس تتمزق، مما فسح المجال للفرنجة الذين استولوا على البلاد، واستعبدوا العباد، فكان التشرد والضياع، والغربة والألم والقهر والظلم والاغتصاب والتآمر الحاقد، وسقوط القلاع الحصينة المنيعة، وتعزق ثغور الإسلام، فأحس الشعراء في ثنايا كل هذه الأحداث لأن كنزا نادرا قد ضاع من بين يدي أهله، مما جعلهم يبدعون في رثاء الفردوس المفقود وأهله فرثوا الممالك والمدن الإسلامية باكين دما على تلك الثغور والقلاع والقصور، كما

ربوا الملوك والأمراء، بشعر ينفطر له القلب، وتتمزق له الأوصال، لما حواه من خصائص فنية كان لها عميق الأثر في النفوس[1].

وانطلاقا من هذا فإن اعتماد الشعراء في الاستصراخ على موضوع الرثاء، كانت له أبعاد كثيرة من بينها، أن الشاعر يريد استنهاض الهمم، وإيقاظ الضمائر، وتنبيه الغافلين حتى يهبوا للنجدة والنصر، إن الشاعر برثائه لهذا الفردوس، يحاول تقريب الصورة إلى الرجل المنقذ، فيثير فيه مشاعر الأخوة التي توجب عليه النصرة والاستصراخ. إن الرثاء في شعر الاستصراخ هو في الحقيقة رسالة واضحة، وتقرير تام وكامل يوضع بين أيدي المنقذين للنظر في حال الأندلسيين الذين تشرئب أعناقهم انتظارا للرجل المخلص للأمة من هذا الجحيم. ومن هنا فالصلة بين الرثاء والاستصراخ وطيدة، إذ لا يعقل أن تستصرخ دون أن تقدم أسبابا لهذا الاستصراخ، ولعل ذكر الانهيار ودمار القلاع والحصون، ومعاناة الأمة وغيرها، كل ذلك يعد سببا قويا للاستصراخ والإغاثة

[1] عزوز زرقان: شعر الاستصراخ في الأندلس ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، دط ، دت ص: 130

الفصل الثاني

الخصائص الفنية لشعر الإصراخ والاستصراخ

اللغة والأسلوب

1 ـ اللغة :

أ ـ تعريف اللغة الشعرية :كما يعرفها العقاد هي اللغــة التي بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألقت منه ولو لم يكن منه كلام الشعراء[1]

فوظيفة اللغة في العمل الشعري لا تقتصر على المعاني الذهنية بدلالاتها المعجمية المحددة حسب وإنما مهمتا الأولى أن تثير الأحاسيس والمشاعر لدى الملتقى بصورها وضلالها وتلك هي الوظيفة الحقيقية للفظة في التعبير الأدبي وهو ما يميزها حقا عن وظيفة اللفظة في التعبير العلمي الذي يهدف إلى تأدية المعنى المجرد بدقة ووضوح[2]

ب ـ خصائص اللغة الشعرية لقصائد المدونة:

تتميز قصائد المدونة بلغة سهلة وبسيطة مباشرةً إلى القارئ دون الحاجة إلى بذل جهد كبير في فهمها. ويُستخدم الشعراء في هذه القصائد مفرداتٍ وقواعد نحويةً صحيحةً، مما يجعل القصائد سهلة الفهم والاستيعاب.

---

[1] العقاد عباس محمود: اللغة الشاعرة نقلا عن بيطام مصطفى: الثورة الجزائرية في المغرب العربي1824_1855( ) دراسة موضوعية فنية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1884ص 75

[2] ناصر محمد: الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه الفنية، 2014، ص 5

ويقول رمضان حمود في نشأة اللغة " لا يسمى الشاعر شاعرا عندي إلا إذا خاطب النا باللغة التي يفهمونها، بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسقة لا أن يخاطبوننا في القرن العشرين بلغة امرئ القيس وطرفة والمهلهل الجاهلين الغابرين[1]"

فنلاحظ في قصائد المدونة استخدام اللغة السهلة البسيطة والمعاني الميسورة المآخذ والصور القريبة المنال والجملة السهلة التراكيب فالمتتبع لشعر الأندلسي في الغالب لا يحتاج إلى قاموس لغوي لفهم الألفاظ لكن هذه الجزالة والسهولة لم تكن لتنقص من جمال الشعر وقوته تأثيره ومن مظاهر البساطة في الشعر ما يلي

جـ - اللغة السهلة والبسيطة في قصائد المدونة:

في قول أبي زكرياء الحفصي**:**

نَادَتكَ أَندَلُسٌ فَلَبَّ نِدَاءَهَا وَاجعَل طُوَاغِيتَ الصَّلِيبِ فِدَاءَهَا

رَشَّ أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ جَنَاحَهَا وَاعْقِد بِأَرْشِيَّةِ النَّجَاةِ رَشَاءَهَا

يستخدم ابي زكريا كلمات مفهومة ومألوفة للقارئ العربي، مما يجعل النص سهل الفهم والتأثير.

[1] رمضان حمود ، الديوان ، بيروت ، لبنان ، 2003 ،ط1 ، ص: 101

ففي البيت الأول، "نَادَتكَ أَندَلُسٌ فَلَبَّ نِدَاءَهَا"، يستخدم الفعل "نادت" و"لبّ" اللذان يعبران عن الاستجابة الفورية والتفاعل العاطفي مع نداء الأندلس. وفي البيت الثاني، "رَشَّ أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ جَنَاحَهَا"، يظهر الاستعارة في "رشّ جناحها" التي توحي بالحماية والرعاية.

فالشاعر هنا يستخدم اللغة البسيطة ليس فقط لتسهيل الفهم، بل لإيصال رسالة قوية ومؤثرة تتعلق بالدفاع عن الأرض والهوية. البساطة في اللغة تعزز من القدرة على التواصل مع جمهور أوسع وتجعل الشعر أكثر قرباً إلى قلوب الناس

كما نجد سهولة الألفاظ واللغة في قصيدة أبو البقاء الرندي:

لكلّ شيءٍ إذا ما تَمّ نقصـــانُ فلا يُغرَّ بطيبِ العيشِ إنســـــانُ

هي الأمورُ كما شـهدتها دُولٌ مَنْ سـرّهُ زمنٌ ساءَتهُ أزمـــانُ

تتجلى اللغة السهلة و البسيطة في قصيدة أبو البقاء حيث تحوى على الفاظ تتيح لجميع طبقات المجتمع فهم مقصوده ففي البيت الأول، "لكلّ شيءٍ إذا ما تَمّ نقصانُ"، يُشير إلى أن كل شيء معرض للنقصان بعد الكمال، وهو تذكير بأن الحياة دائمة التغير ولا شيء يدوم على حال. وفي البيت الثاني، "هي الأمورُ كما شـهدتها دُولٌ"، يُقدم الشاعر ملاحظة تاريخية عن تقلب الأحوال والأزمان.

فاللغة السهلة والبسيطة في هذه الأبيات تسمح للقارئ بالتأمل في الدروس المستفادة من التاريخ والحياة دون الحاجة إلى تفسيرات معقدة. هذا الأسلوب يجعل الشعر متاحًا للجميع، ويسهل انتقال الحكمة من جيل إلى جيل

وفي قول ابن خفاجة :

يَأَ هلَ أَندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ماءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ

ما جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُمُ وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

لاتَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقراً فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ

إن هده الأبيات تُظهر الجمال في استخدام اللغة السهلة والبسيطة للتعبير عن مشاعر الحنين والتحذير. فالشاعر يستخدم كلمات واضحة ومعاني مباشرة ليصور جمال الأندلس ويقارنه بالجنة، ومن ثم ينتقل إلى التحذير من عواقب الأفعال.

فيقول في البيت الأول، "يَأَ هلَ أَندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ"، يُعبر الشاعر عن تقديره لأهل الأندلس ويصف جمال الطبيعة هناك بكلمات تُثير الصور الذهنية الخلابة. وفي البيت الثاني، "ما جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُمُ"، يُعلي من شأن الأندلس بأنها تُشبه الجنة في جمالها وروعتها.

أما البيت الثالث، "لاتَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقراً"، فيحمل تحذيرًا شديدًا من العاقبة الأخروية للذين يُفسدون في الأرض، مستخدمًا كلمة "سقر" التي تُشير

إلى النار في الآخرة، وهو تحذير يُعبر عنه بلغة بسيطة لكنها تحمل وزنًا عظيمًا من المعنى.

الشاعر هنا يُبدع في استخدام اللغة السهلة والبسيطة ليُوصل رسائله بقوة ووضوح، مما يجعل الأبيات سهلة الفهم والتذكر، وتُتيح للقارئ الانغماس في التأمل والتفكير في الرسائل المُرسلة

فالمتأمل لهذه المقاطع لا يجد كلمة واحدة غريبة أو غامضة تدفعه إلى الاستعانة بالقاموس ولا صورة بيانية مجنحة ولا رمزا غريبا

لعبت سهولة الألفاظ دورًا هامًا في شعر سقوط الأندلس، حيث ساعدت على نقل عمق المشاعر والأحاسيس التي عاشها الشعب الأندلسي في تلك المأساة . فكانت كلماتهم بمثابة صرخة مدوية تعبر عن حزنهم وفقدانهم لوطنهم الحبيب.

2 - الأسلوب :

أ - تعريف الأسلوب :

من خلال نظرة النقاد والشعراء العرب من بينهم مصلوح سعد أنه ما دامت اللغة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير فإن " الأسلوب يمكن تعريفه بأنه اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة "[1] ويرى حسين محمود عارف وآخرون بأن "الأسلوب هو طريقة التعبير وخصائصه "[2]ومن خلال التعابير السابقة نصل إلى أن الأسلوب هو الإطار الذي يعبر فيه الكاتب أو الشاعر عن أفكاره بطريقة خاصة به إذ لكل شاعر أسلــوب خاص يمتــاز به سواء من ناحية اللفظة أو التركيب وحيث نذكر مصطلح الأسلوب فإننا نذكر ثلاثــة أقســام، وهي الأسلوب العلمي، الأسلوب الخطابي، الأسلوب الأدبي وهذا الأخير هو هدفنا لدراسته في هذا الجزء ومن مميزاته الجمال أبرز صفاته وأظهر مميزاته ومنشأ جمالــه ما فيه من خيــال رائع وتصوير دقيق وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس وإظهار المحسوس في صورة المعنوي

ب ـ أسلوب قصائد المدونة :

ويتجسد ما ذكرناه آنفا في قول ابن الشهيد**:**

[1] مصلوح سعد: للأسلوب دراسة لغوية إحصائية عالم الكتب ،د ت ، القاهرة ، مصر، ص: 74

[2] حسين محمود عارف ومحمد علي حسن: دراسة في النص الأدبي، العصرالحديث،دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر،ط4،الإسكندرية ، مصر،1884ص8

فَلِمْثَلِ قُرْطُبَةَ يَقِلُّ بُكَاءٌ مَنْ يَبْكِي بِعَيْنٍ دَمْعُهَا مُتَفَجِّرُ

دَارٌ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَةَ أَهْلِهَا فَتَبَرْبَرُوا وَتَغَرَّبُوا وَتَمَصَّرُوا

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ فَرِيقٌ مِنْهُمُ مُتَفَطِّرٌ لِفِرَاقِهَا مُتَحَيِّرُ

فنلحظ أسلوب ابن الشهيد السهل في هذه القصيدة يتجلى في استخدامه للغة بسيطة ومباشرة للتعبير عن مشاعره. يستخدم الكلمات والعبارات التي يمكن للقارئ العادي أن يفهمها بسهولة، مما يجعل القصيدة أكثر قربًا من القلوب.

على سبيل المثال، يستخدم الشاعر كلمة "بُكاء" للإشارة إلى الحزن العميق، وهو شيء يمكن للجميع الربط به. كما يستخدم الشاعر الكلمات "تَبَرْبَرُوا وَتَغَرَّبُوا وَتَمَصَّرُوا" لوصف الشعور بالغربة والتشتت الذي يمكن أن يشعر به الناس عندما يغادرون موطنهم . بالإضافة إلى ذلك، يستخدم الشاعر الرمزية بطريقة فعالة للتواصل مع القارئ. على سبيل المثال، يرمز "قُرْطُبَة" إلى الوطن أو المكان الذي يحن إليه الشاعر. هذه الرموز تعزز الرسالة العامة للقصيدة وتجعلها أكثر تأثيرًا.

بشكل عام، يتميز الأسلوب السهل بأنه يجعل القصيدة أكثر قابلية للوصول والتأثير في مجموعة أوسع من القراء. يتيح هذا الأسلوب للشاعر التواصل مع القراء على مستوى أعمق، مما يجعل القصيدة أكثر قوة وتأثيرًا.

أما ابن العسال فيقول :

هَتَكُوا بِخَيْلِهِمْ قُصُورَ حَرِيمِهَا لَمْ يَبْقَ لا جَبَلٌ وَلا بَطْحَاءُ

جَاسُوا خِلَالَ دِيَارِهِمْ فَلَهُمْ بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ شُعَرَاءُ

بَاتَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِرَعْبِهِمْ فَحُمَاتُنَا فِي حَرْبِهِمْ جُبَنَاءُ

كَمْ مَوْضِعٍ غَنِمُوهُ لَمْ يَرْحَمْ بِهِ طِفْلٌ وَلا شَيْخٌ وَلا عَذْرَاءُ

في هذه الأبيات، يستخدم ابن العسال كلمات مألوفة وصورًا بلاغية قوية ليصور حالة الدمار والخراب التي لحقت بالأماكن والناس. الأبيات تنقل صورة حية للغزو والفتح، وتعكس الأثر النفسي الذي خلفه على الناس، من خلال استخدام الشاعر للغة تحرك المشاعر وتثير الصور الذهنية بقوة. فهو يستخدم أيضًا الجناس والطباق، مثل في البيت الثاني ‘‘في كل يوم غارة شعراء’’ حيث يوجد تضاد بين كلمة ‘‘غارة’’ التي توحي بالهجوم والعنف، وكلمة ‘‘شعراء’’ التي توحي بالإبداع والفن. هذا التضاد يخلق توترًا جماليًا في النص ويعزز من تأثيره البلاغي.

باختصار، الأسلوب السهل في هذه الأبيات يتيح للقارئ فهم النص بسهولة مع الاحتفاظ بعمق المعاني وقوة التأثير البلاغي

وهنا نلحظ بساطة أسلوب قصائد المدونة، حيث تجلت قصائد الإصراخ والاستصراخ بالعاطفة الصادقة والمباشرة في التعبير عن الأسى والحزن. لم تتكلف هذه القصائد بالزخارف اللغوية أو التعقيدات البلاغية، بل اتسمت بالوضوح والقوة في نقل صورة الواقع المؤلم. كان الشعراء يسعون لأن تصل رسالتهم إلى قلوب الناس بكل يسر وسهولة، مستخدمين الكلمات التي تلامس الفؤاد وتوقظ الشجون. ففي هذه القصائد، يكمن جمال الصدق والتأثير، وهو ما يجعلها تخلد في الذاكرة وتنتقل عبر الأجيال.

: التصوير

1 - الكناية:

أ ـ تعريف الكناية: هي الكِناية التي يُذكر بها الموصوف بصِفة مُلازمة للشّيء المُكنّى عنه، سواء كان ذِكر الموصوف باللّفظ أو أن يُلاحظ ويُفهم من سِياق الكلام

أو هي تعبير استعمل في غيره معناه الأصلي (الخيالي)

مثال: فلان قوي البصيرة فهذا مثال عن سرعة الفهم لديه وقوة البديهية مع جواز أن يكون يملك حاسة قوية للبصر[1]

ب ـ الكناية في المدونة:

والكناية في قصائد الاستصراخ كثيرة نذكر منها بعض الأمثلة لأشهر الشعراء حيث برع الشعراء الأندلسيين في توظيفها في قصائدهم لأنها تزيد من قوة اللغة وتزيد القارئ رغبة وحماسا وتعطيه توضيحا أكثر للصورة كما استخدم الشعراء الكناية لتصوير مشاعرهم بطريقة أكثر تأثيرًا وعمقًا.

فنجد أبو البقاء الرندي يوظف الكناية في قوله:

لكلّ شيءٍ إذا ما تَمّ نقصـــانُ فلا يُغرَّ بطيبِ العيشِ إنســـانُ

[1] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ،2005 ، ص:348

هنا، استخدم الرندي الكناية في "طيب العيش" للإشارة إلى الرفاهية والأمان الذي كان يتمتع به المسلمون في الأندلس قبل سقوطها، و"نقصان" كناية عن الزوال والفناء.

وفي قول ابن خفاجة:

وَصَقيلَةِ الأَنوارِ تَلوي عِطفَها ريحٌ تَلُفُّ فُروعُها مِعطارُ

"صقيلة الأنوار" كناية عن جمال ورونق المدينة، و"ريح" كناية عن الغزو الذي يهدد استقرارها ويقتلع جذورها.

ويقول أيضا:

وَصَقيلَةِ الأَنوارِ تَلوي عِطفَها ريحٌ تَلُفُّ فُروعُها مِعطارُ

عاطى بِها الصَهباءَ أَحوى أَحوَرٌ سَحّابُ أَذيالِ السُرى سَحّارُ

وَالنورُ عِقدٌ وَالغُصونُ سَوالِفٌ وَالجِذعُ زَندٌ وَالخَليجُ سِوارُ

بِحَديقَةٍ ظَلَّ اللِمى ظِلّاً بِها وَتَطَلَّعَت شَنَباً بِها الأَنوارُ

يستخدم ابن خفاجة هنا الكناية في قوله : ‘‘النور عقد’’ للدلالة على الجمال الباهر للطبيعة، و"الغصون سوالف" كناية عن الأغصان المتدلية كأنها شعر امرأة. وفي قوله **وَالجِذعُ زَندٌ وَالخَليجُ سِوارُ** هنا الكناية في هذا البيت تُظهر الطبيعة كأنها لوحة فنية، حيث يُصوّر الجذع كذراع قوي يحمل الخليج الذي يُشبه السوار الجميل. هذا التشبيه يُعطي انطباعًا بأن الطبيعة تزين نفسها بنفسها، وكأن الأشجار تلبس الأنهار كالحلي.

2 ـ التشبيه

أ ـتعريف التشبيه :

جاء في لسان العرب " أنه من الجذر اللغوي شبه الشبة، والشبه والشبيه، المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء أي ماثله، وفي المثل أشبه أباه فما ظلم، وأشبه الرجل أمه، وذلك إذا عجز وضعف، ويقال شبهت هذا بهذا، وأشبه فلانا"[1]

ب-التشبيه في المدونة :

ونجد التشبيه في قصائد الاستصراخ في القصيدة الشهيرة لابي البقاء الرندي "لكل شيء إذا ما تم نقصان " في قول الشاعر :

وَحامِلينَ سُيُوفَ الهِندِ مُرهَفَةً كَأَنَّها في ظَلامِ النَقعِ نيرَانُ

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ص :451

في هذا البيت تشبيه مفصل، حيث تم فيه ذكر جميع أركان التشبيه وهي: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. ففي هذا البيت، المشبه هو "سيوف الهند المرهفة" والمشبه به هو "النيران"، وأداة التشبيه هي "كأنَّ"، ووجه الشبه هو الإضاءة أو اللمعان في الظلام، مما يعطي الصورة البلاغية للسيوف كأنها نيران تلمع في الظلام.

وغير بعيد عن هذا البيت ذكر الشاعر في قصيدته نوعا آخر من التشبيه في قوله :

وَطفلَة مِثلَ حُسنِ الشَمسِ إذ برزت كَأَنَّما هيَ ياقُوتٌ وَمُرجانُ

ففي هذا البيت تشبيه في قوله : برزت كأنما هي ياقوت .ومرجان : تشبيه مجمل ، حيث يشبه الفتاة بالجواهر الثمينة لكي ينبه السامعين بمرارة الخسارة عندما تهان مثل تلك الجوهرة.

أما ابن خفاجة فقط وظف في قصيدته التشبيه في قوله :

مِن بعد رزءٍ في بلنسيةٍ ثوى بأحنائنا كالنار مضرمة الوقدِ

حيث احتوى هذا البيت على تشبيه مرسل، وهو نوع من أنواع التشبيه حيث يُذكر فيه أداة التشبيه. في هذا البيت، الأداة المستخدمة هي "ك "، والمشبه هو "الرزء" أو الحزن الذي حلّ بالشاعر بعد فقدان بلنسية، والمشبه به هو "النار المضرمة"، ووجه الشبه هو الشدة والحرارة والتأثير العميق في النفس. يُظهر الشاعر من خلال هذا التشبيه كيف أن الحزن الذي شعر به بعد سقوط بلنسية يشبه النار المشتعلة في قوتها وحرارتها، وكيف أنها تستعر في أحشائه وتؤثر فيه تأثيرًا

عميقًا. هذا التشبيه يُبرز الألم النفسي الذي يعتري الشاعر بسبب الفقد والحنين إلى الوطن الضائع.

3 -الاستعارة

أ- تعريف الاستعارة : عرّفها الجاحظ بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه».

وعرّفها القاضي الجرجاني بقوله: «فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسّع والتصرّف، وبها يتوصّل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر». وعرّفها مرة أخرى بقوله: «ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»[1]

ب - الاستعارة في المدونة :

اما لسان الدين الخطيب فقد زين قصيدته" جادك الغيث " بالاستعارة قائلا :

[1] كتاب العمدة لابن رشيق ج 1 ص 241، والرماني «382 هـ» صاحب كتاب «النكت في إعجاز القرآن.«

جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْثُ هَمى يا زَمانَ الوصْلِ بالأندلس

لمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُما في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ

إذْ يقودُ الدّهْرُ أشْتاتَ المُنَى تنْقُلُ الخَطْوَ علَى ما يُرْسَمُ

الاستعارة في البيت الأول "جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْثُ هَمى" هي استعارة مكنية، حيث يُصوّر الشاعر زمان الوصل بالأندلس كأنه أرض يسقيها المطر . غير أنه لم يذكر المشبه به وانما أتى بما يدل عليها وهي (جادك الغيث) على سبيل الاستعارة المكنية .

هذه الصورة البلاغية تحمل إيحاء بقوة الذكريات ودوامها المرتبطة بتلك الأيام. وهي تعبير عن الحنين إلى عهد الخير الذي كان يسود الأندلس، حيث يُعتبر المطر رمزًا للخصب والعطاء.

ثم وظف الشاعر استعارة أخرى في قوله :

فكَساهُ الحُسْنُ ثوْباً مُعْلَما يزْدَهي منْهُ بأبْهَى ملْبَسِ

فالاستعارة في هذا البيت "فكَساهُ الحُسْنُ ثوْباً مُعْلَما يزْدَهي منْهُ بأبْهَى ملْبَسِ" هي استعارة مكنية، حيث يُصوّر الشاعر الحُسن وكأنه شخص قام بكسوة شيء ما بثوب مُعلم، والمراد به الجمال الذي يُضفي على الشيء مظهرًا جميلًا ومُلفتًا يُعطي للشيء قيمة وبريقًا، وكأنه يتزين بأجمل ملابسه.

أما النوع الآخر من الاستعارة التصريحية فنجدها عند ابن زيدون في حديثه عن دورة الحياة والتغيرات التي تحدث فيها، حيث يتبدل الحال من حال إلى

حال، وهو ما يعكس الواقع الذي عاشه الأندلسيون خلال فترة سقوط الأندلس والتغيرات الكبيرة التي حدثت في حياتهم قائلا :

إن يَنكَدِر بِالأَمسِ نَجمٌ ثاقِبٌ فَاليَومَ أَقلَعَ عارِضٌ هَطّالُ

في هذا البيت، يستخدم ابن زيدون الاستعارة ليصف تغير الأحوال. فقوله "النجم الثاقب" وهو المشبه به فبه رمز إلى الأمل أو الحظ الجيد وهو المشبه المحذوف الذي كان موجودًا في الماضي، ولكنه "انكدر" أي اختفى أو زال. وفي المقابل، يقول "أقلع عارض هطال" مشبهًا السحاب الكثيف الذي يجلب الأمطار بالأحداث الجديدة التي تحمل الخير والنماء. هنا، يُظهر ابن زيدون تفاؤله بأنه بعد زوال الحظ الجيد، هناك دائمًا فرصة لتجدد الأمل والخير

خاتمة:

وفي الأخير نقول أن الشعر الاستصراخي الأندلسي يمثل نموذجا حقيقيا للعمل الإبداعي الذي تتعانق فيه الوظيفة الإبداعية مع الوظيفة الإبلاغية ، وإذا كانت الوظيفة البلاغية أو الاتصالية مقصودة في هذا النوع من الشعر لذاتها بين مرسل هو الشاعر (المستغيث) و متلق هو الممدوح (المستغاث به) قائدا كان أم جماعة ، فإن ذلك لا يعني أن الشاعر في هذا الغرض يصب

اهتمامه على هذا الجانب الاتصالي فقط ، بل نراه يحرص في الكثير من هذا الشعر على الجانب الجمالي والوظيفة الشعرية ، وبالتالي يجمع بين ما هو مفيد (تحقيق الغاية في طلب النجدة والإغاثة) وما هو ممتع (التأثير في الملتقى وتحقيق المتعة الفنية)، وهذا ما نراه محققا في كثير من قصائد الاستصراخ على غرار قصائد ابن الأبار" و "ابن الخطيب" و" أبو البقاء الرندي "التي حققت الجانب الإبلاغي الاتصالي بوصفها أداة فعالة في طلب النجدة والاستغاثة وسجلا تاريخيا خالدا لما أصاب المسلمين من أحداث في تلك الفترة (الجانب التوثيقي) ، كما حققت هذه القصائد أيضا الجانب الجمالي من خلال ما حوته من عناصر جمالية وتقنيات فنية عالية تتجسد خاصة في التركيب الشعري والظواهر الخاصة كالمحسنات المعنوية واللفظية والتكرار والترديد والإيقاعات الحماسية العالية والتصوير المعادل للانفعالات وكذا العمق وحرارة العاطفة ، لقد عبر هذا الشعر حقا عن ذلك التجديد الموضوعي في الأدب الأندلسي وتلك الخصوصية الشعرية الأندلسية بشكل يجمع بين المهمة التبليغية والمتطلبات الفنية التي أضفت على تلك المهمة مسحة جمالية أهلتها للجمع بين الإفادة والإمتاع .

من خلال دراستنا، استطعنا أن نلمس كيف أن الشعراء الأندلسيين استخدموا اللغة والصور الشعرية ليس فقط كوسيلة للتعبير عن الذات، بل كأداة للتواصل والتأثير، وكجسر يربط بين الماضي والحاضر. وقد أظهرت قصائدهم قدرة فريدة على التجديد والابتكار في مواجهة التحديات، محافظين على جماليات الشعر وقوته التعبيرية.

إن الأبعاد الموضوعاتية والفنية لشعر الإصراخ والاستصراخ تُعد شهادة حية على الدور الذي يمكن أن يلعبه الأدب في تشكيل الهوية الثقافية والوطنية، وفي توثيق الأحداث التاريخية والتعبير عن المشاعر الإنسانية العميقة.

نأمل أن تكون هذه الدراسة قد أضاءت جوانب مهمة من الأدب الأندلسي وأن تكون مصدر إلهام للباحثين والمهتمين بالتراث الثقافي العربي والإسلامي.
ونتطلع إلى أن تُسهم في تعزيز التقدير لهذا الإرث العظيم الذي يُعد جزءًا لا يتجزأ من تاريخنا الإسلامي

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر

مدونة البحث : حسناء بوزويتة الطرابلسي :.

ابن منظور ،لسان العرب ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان،2001، ط:3 ،ص: 511

علي بن إسماعيل ، المحكم والمحيط الأعظم، معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية، ت: إبراهيم الابياري،

إبراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، 1966

كتاب العمدة لابن رشيق ج 1ص 241 والرماني «382 هـ» صاحب كتاب «النكت في إعجاز القرآن».

المراجع

1. - ابن سهل الإسرائيلي : الديوان ، تح : بطرس البستاني ، مكتبة صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ،1953 ،
2. 1 أحمد محمد عطيات ، الأندلس من السقوط الى محاكم التفتيش ، دار أمواج للنشر والطباعة ، عمان ،الأردن ،2012،ط:1،
3. ، إبراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، 1966،"ط: 1
4. أبو الفضل جمال بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت ط:1 , سنة 2000
5. أبي عبد الله محمد بن القرطبي . الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر , لبنان ,بيروت ، 1999
6. إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دمشق ، سوريا ، ط:1 ، 2008
7. أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ،2005 ، ص:348
8. أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ط:2
9. أحمد دقالي الحنين ،الشعر الأندلسي
10. أسعد محمد علي النجار، م. رائدة مهدي جابر (2012)، "الرثاء عند شعراء الحلة"، مجلة مركز بابل للدراسات الحضاريّة والتاريخيّة، العدد 2، المجلد 2،
11. الإمام محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط،1.

12. حاشية ابن عابدين - رد المحتار على الفتح الكبير - المجلد السادس - الصفحة 369
13. حسين اليعقوبي "قصائد غير منشوره في الاستصراخ والاسراف مجله دراسات اندلسيه .
14. حسين محمود عارف ومحمد علي حسن: دراسة في النص الأدبي، العصرالحديث،دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر،ط،4الإسكندرية ، مصر،1884ص8
15. رمضان حمود ، الديوان ، بيروت ، لبنان ، 2003 ،ط1 ،
16. الزبيدي ، تاج العروس دار صادر - دمشق ، سوريا ، 1984 ،
17. الطبري : تاريخ الطبري ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج :8 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط :3 ، د.ت ،
18. عبد الرحمن حسين: رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر الأندلسي حتى سقوط غرناطة، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، 1983.ناصر محمد: الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه الفنية
19. عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان ،
20. عزوز زرقان: شعر الاستصراخ في الأندلس ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان
21. العقاد عباس محمود: اللغة الشاعرة نقلا عن بيطام مصطفى: الثورة الجزائرية في المغرب العربي1824_1855( ) دراسة موضوعية فنية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1884
22. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ، ط ،.
23. قصيدة أبو البقاء الرندي لرثاء الممالك الأندلسية تعتبر من أشهر قصائد الرثاء
24. محمد رضوان الداية ،الادب الأندلسي، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان ، ص: 160
25. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، بيروت ، لبنان ، ص:175
26. مصلوح سعد: للأسلوب دراسة لغوية إحصائية عالم الكتب ،د ت ، القاهرة ، مصر، ص: 74
27. المعاني، اطّلع عليه بتاريخ 02-01-2017.